موقف الاسلام من الاديان الاخرى وعلاقته بها

اذا اخذت كلمة "الاسلام" بمعناها القرآني نجدها لاتدع مجالا لهذا السؤال عن العلاقة بين الاسلام وبين سائر الاديان السماوية ، فالاسلام في لغة القرآن ليس اسما لدين خاص وانما هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الانبياء وانتسب اليه كل اتباع الانبياء . هكذا نرى نوحا يقول لقومه "وأمرت ان اكون من المسلمين" (سورة ١٠ آية ٧٢) ويعقوب يوصي بنيه "ولا تموتن الا وانتم مسلمون" (سورة ٢ آية ١٣٢) وابناء يعقوب يجيبون اباهم : "نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون" (٢ : ١٣٣) وموسى يقول لقومه "ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين" (١٠ : ٨٤) والحواريين يقولون لعيسى "آمنا بالله واشهد بانا مسلمون" (٣ : ٥٢) بل ان فريقا من اهل الكتاب حين سمعوا القرآن "قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين" (٢٨ : ٥٣) وبالجملة نرى اسم الاسلام شعارا عاما يدور في القرآن على السنة الانبياء واتباعهم منذ اقدم العصور التاريخية الى عصر النبوة المحمدية . ثم نرى القرآن يجمع هذه القضايا كلها في قضية واحدة يوجهها الى قوم محمد ويبين لهم فيها انه لم يشرع لهم دينا جديدا ، وانما هو دين الانبياء من قبلهم ("شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" (٣٢ : ١٣) ثم نراه بعد ان يسرد سيرة الانبياء واتباعهم ينظمهم في سلك واحد ، ويجعل منهم جميعا امة واحدة لها اله واحد كما لها شريعة واحدة : "ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون" (٢١ : ٩٢)

ماهذا الدين المشترك الذى اسمه الاسلام ، والذى هو دين كل الانبياء والمرسلين ؟

ان الذى يقرأ القرآن يعرف كنه هذا الدين .. انه هو التوجه الى الله رب العالمين في خضوع خالص لايشوبه شرك ، وفي ايمان واثق مطمئن بكل ماجاء من عنده على اى لسان وفي اى زمان او مكان دون تمرد على حكمه ودون تمييز شخصي او طائفي او عنصرى بين كتاب وكتاب من كتبه او بين رسول ورسول من رسله . هكذا يقول القرآن "وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين" (٩٨ : ٥) ويقول : "قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون" (٢ : ١٣٦) ويقول "ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا" (٤ : ١٥٠ ـ ١٥١) .

هذا الاخلاص القلبي لله وهذا الايمان المطمئن برسالاته يمثل الركن النظرى والاساسي للاسلام ، فاذا استقر هذا الاساس في جذر القلب ، ظهرت ترجمته وثمرته العملية في اتباع أوامر الله ، وترك محارمه ، والتزام طريق الاستقامة في كل مظاهر الحياة الفردية والاجتماعية واجتماع الشطرين النظرى والعملي تتحصل حقيقة الاسلام الكاملة وهي الانقياد لله ظاهرا او باطنا ، باخلاص العبادة له ، وحسن المعاملة لخلقه . هذا هو الاسلام الكامل ، والسلام الشامل ، الذى امرنا الله به في القرآن ، حيث يقول : "يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة" (٢ : ٢٠٨) .

فالاسلام سلام من كلا جانبيه : سلام مع الحق ، وسلام مع الخلق .

وان الرسالة السماوية المشتركة بين كل الرسل كما بينها القرآن لاتخرج عن هذين الاصلين "وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون" (٢١ : ٢٥) "لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط" (٥٧ : ٢٥) .

Scanned with CamScanner

نقول اذا ان الاسلام بمعناه القرآنى الذى وصفناه لا يصلح ان يكـــون محلا للسؤال عن علاقته بينه وبين سائر الاديان السماوية ، اذ لا يسأل عن العلاقة بين الشئ ونفسه ، فها هنا وحدة لا انقسام فيها ولا اثنينية .

غيران كلمة " الاسلام " قد أصبح لها فى عرف الناس مدلول معين يمكـن تحديده بأنه هو مجموعة الشرائع والتعاليم التى جاء بها محمد ، او الـــتى استنبطت مما جاء به ، كما ان كلمة اليهودية او الموسوية تخص شريعة موســـى وما اشتق منها ، وكلمة النصرانية او المسيحية تخص شريعة عيسى وما تفرع عنهـــا عليهم جميعا افضل الصلاة والسلام .

فالسؤال الآن انما هو عن الاسلام بمعناه العرفى الجديد ، أعـــنى عن العلاقة بين المحمدية وبين الموسوية والمسيحية .

وللاجابة عن هذا السؤال ينبغى أن نقسم البحث الى مرحلتين :

" المرحلة الاولى " فى علاقة الشريعة المحمدية بالشرائع السماويـــة السابقة وهى فى صورتها الاولى لم تبعد عن منبعها ~~منبعها~~ . ولم يتغير فيهـــا شئ بفعل الزمان ولا بيد الانسان .

" المرحلة الثانية " فى علاقته بها بعد ان طال عليها الأمد ، وطـــرأ عليها شئ من التطور .

" اما فى المرحلة الاولى " فقد رأينا الى اى حد يبلغ توقير المسلم لهذه الكتب المنزلة ولحاملى رسالتها ، دون تفرقة بين شئ منها ، ولا بين احد منهـــم ورأينا ان الايمان بأنها كلها من عند الله ، وبأن كل مافيها حق وعدل وحكمـــة ركن اساسى لا يكون المسلم مسلما الا به ، فالقرآن يعلمنا ان كل رسول يرســـل ، وكل كتاب ينزل ، جاء مصدقا ومؤكدا لما قبله : فالانجيل مصدق ومؤيد للتـــوراه والقرآن مصدق ومؤيد للانجيل وللتوراه ولكل مابين يديه من الكتب (٥ : ٤٦ ، ٤٨) وقد اخذ الله الميثاق على كل نبى اذا جاءه رسول مصدق لما معه ان يؤمـــن بـــه وينصره (٣ : ٨١)

غيران هاهنا سؤالا يحق للسائل ان يسأله :

اليست قضية هذا التصادق الكلى بين الكتب السماوية بين الرسل بعضهم وبعض ، ان تكون الرسالات اللاحقة انما هى تجديد وتذكير بالرسالات السابقـــة وان تكون الكتب المتأخرة انما هى تجديد للمتقدمة وتذكير بها فلا تبدل فيهـــا معنى ولا تغير منها حكما ، اذ كيف يقال انها تصدق بينما هى تبدل او تعدل واذا كان من قضية التصادق الكلى بين الكتب الا يغير المتأخر منها شيئا مـــن المتقدم ، فهل الواقع هو ذلك ؟

الجواب : ليس الواقع ذلك ، فقد جاء الانجيل بتعديل بعض احكـــام

التوراة ، اذ اعلن عيسى انه جاء ليحل لبنى اسرائيل بعض الذى حرم عليهم (٣ : ٥٠) وكذلك جاء القرآن بتعديل بعض احكام الانجيل والتوراة ، اذ اعلن أن محمدا جاء ليحل للناس كل الطيبات ، ويحرم عليهم كل الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم (٧ : ١٥٧) .

ولكن يجب ان يفهم ان هذا وذاك لم يكن من المتأخر نقضا للمتقدم ولا انكارا لحكمة احكامه فى ابانها ، وانما كان وقوفا بها عند وقتها المناسب ، واجلها المقدر ... مثل ذلك مثل ثلاثة من الاطباء جاء احدهم الى الطفل فى الطور الاول من حياته ، فقرر قصر غذائه على اللبن ، وجاء الثانى الى الطفل فى مرحلته التالية فقرر له طعاما لبنيا وطعاما نشويا خفيفا ، وجاء الثالث فى المرحلة التى يعدهما فاذن له بغذاء قوى كامل لاريب ان هاهنا اعترافا ضمنيا بأن كل واحد منهم بأن صاحبه كان موفقا كل التوفيق فى علاج الحال التى عرضت عليه، فى حدود ملابساتها ؟ .. نعم ان هناك قواعد صحية عامة فى النظافة والتهوية والتدفئة ونحوها لاتختلف باختلاف الاسنان ، فهذه لاتعديل فيها ولا تبديل ، ولا يختلف فيها طب الاطفال والناشئين عن طب الكهول الناضجين .

هكذا الشرائع السماوية كلها صدق وعدل فى جملتها وتفصيلها ، وكلها يصدق بعضها بعضا من ألفها الى يائها ، ولكن هذا التصديق على ضربين : تصديق للقديم مع الاذن ببقائه واستمراره ، وتصديق له مع ابقائه فى حدود ظروفه الماضية ، ذلك ان الشرائع السماوية تحتوى على نوعين من التشريعات : (تشريعات خالدة) لاتتبدل بتبدل الاصقاع والاوضاع (كالوصايا التسع [1] ونحوها) ، فاذا فرض ان اهل شريعة سابقة تناسوا هذا الضرب من التشريع جاءت الشريعة اللاحقة بمثله اى اعادت مضمونه تذكيرا به وتأكيدا له ، (وتشريعات موقوته) بآجال طويلة او قصيرة ، فهذه تنتهى بانتهاء وقتها ، وتجئ الشريعة التالية بما هو اوفق بالاوضاع الناشئة الطارئة .. وهذا والله اعلم هو تأويل قوله تعالى " ماننسخ من آية او ننسها تأت بخير منها او مثلها " فهو بيان مقسم موزع على طريقة الطى والنشر والمرتب : الاتيان بخير منها راجع الى النسخ ، والاتيان بمثلها راجع الى الانساء ، فالحكم او التشريع الذى يعلم الله انه قد استنفد اغراضه ، وانه اصبح لايصلح للبقاء والاستمرار ينسخه الله اى يقف تطبيقه ، ويجئ بدله بتشريع خير منه اى اليق بالوضع الجديد ، والحكم او التشريع الذى ينساه الناس وكان حقه الا ينسى يجئ الله بمثله ليبقى العمل به مستمرا الى ماشاء الله .. ولولا اشتمال الشريعة السماوية على هذين النوعين مااجتمع فيها العنصران الضروريان لسعادة

---

(١) نقول : الوصايا التسع ، ولا نقول : الوصايا العشر ، لان الوصية العاشرة فى التوراة ، وهى تحريم العمل فى يوم السبت كانت تشريعا محليا مؤقتا ، وقد بين هذا التوقيت على لسان عيسى ومحمد عليهما السلام .

Scanned with CamScanner

المجتمع البشرى : عنصر الاستمرار الذى يربط حاضر البشرية بماضيها ، وعنصر الانشـــاء والتجديد ، الذى يعد الحاضر للتطور والرقى اتجاها الى مستقبل افضل واكمل ...

ونحن اذا نظرنا نظرة فاحصة الى سير التشريع السماوى من خلال الشرائع الثلاث نجد فيها هذين العنصرين واضحين كل الوضوح ، اذ نجد كل شريعة جديدة تحافظ على الاسس الثابتة التى ارستها الشريعة السابقة ، ثم تزيد عليها ما يشاء الله زيادته .

١ــ نرى شريعة التوراه مثلا قد عنيت بوضع المبادىء الاولية لقانون السلوك " لا تقتل " " لاتسرق " الخ ونرى الطابع البارز فيها هو طابع تحديد الحقوق وطلب العدل والمساواة بينها ... ثم نرى شريعة الانجيل تجىء بعدها فتقرر هذه المبادىء الاخلاقية وتوكدها ، ثم تترقى فتزيد عليها آدابا مكملة : " لا تراء الناس بفعل الخير " " احسن الى من اساء اليك " ، ونرى الطابع البارز فيها هو طابع التسامح والرحمة والايثار والاحسان .. واخيرا تجىء شريعة القرآن فنراها تقرر المبدأين كليهما فى نسق واحد . " ان الله يأمر بالعدل والاحسان " (١٦ : ٩٠) مقدرة لكل منهما درجته فى ميزان القيم الادبية ، مميزة بين المفضول منهما والفاضل : " وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فأجره على الله " (٤٢ : ٤٠) " وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين " (١٦ : ١٢٦) ثم نراها وقد اضافت اليهما فصولا جديدة صاغت فيها قانون آداب اللياقة ورسمت بها منهج السلوك الكريم فى المجتمعات الرفيعة : فى التحية والاستئذان والمجالسة والمخاطبة الى غير ذلك .. كما نراه فى سور النور والحجرات والمجادلة .

هذا مثال من امثلة الجمع فى سير التشريعات السماوية بين عنصر المحافظة على القديم الصالح وعنصر الاخذ بالجديد الاصلح . والامثلة كثيرة لا يتسع لها نطاق هذه المحاضرة .

٢ــ ومثال آخر : كان موسى عليه السلام فى دعوته لقوم يرغبهم فى اتباع تعاليمه ووصاياه بما سوف يكون لها من اثر صالح فى حياتهم : سعة فى الرزق ، خصوبة فى الارض والحيوان والانسان ، عافية فى الابدان ، انتصار على الاعداء .. فلما جاء عيسى عليه السلام ترقى بهم درجة اذ حول انظارهم من الارض الى السماء وجعل يرغبهم فى العمل الصالح بما سوف يكون له من جزاء فى ملكوت الله ... واخيرا جاء محمد عليه السلام ، فاكد هذين الوعدين الكريمين : " للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير " (١٦ / ٣٠) ولكنه صعد بالقلوب المؤمنة الى مرقى اعلى ، بل الى المرقى الاعلى باطلاق اذ جعل الهدف الحقيقى الذى ينبغى ان يتطلع اليه المتقى ليس هو بمتاع الدنيا ولا ثواب الآخرة ، ولكنه طلب رضوان الله ، وابتغاء وجه ربه الاعلى : " وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله (٢ : ٢٧٢) " ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما (٤ : ١٤) .

٣ــ ومثال ثالث كانت الشريعة الموسوية ترمى فى جملتها الى تكوين جماعة مؤمنة ، مهذبة منظمة شاعرة بقوتها فى وحدة وطنها ، ووحدة دينها وشريعتها . وكانت هذه الجماعة محصورة فى نطاق ضيق محدودة بحدود الدم والبيئة لا تتناول الا ابناء اسرائيل ومن يساكنهم فى ديارهم ، فلم يكن بينهم وبين جيرانهم الذين فى خارج هذه الحدود ولاء ولا تبادل حقوق ... فلما جاءت الشريعة المسيحية وكانت رسالتها موجهة الى هذه الامة الاسرائيلية نفسها بعد ان تكونت نواتها واستقلت على قدمها بدأت توجه انظار هذه الجماعة الى خارج حدودها ، واخذت تحرك فيها العاطفة الرحيمة التى لا تفرق فى المعاملة بين انسان وانسان .. هكذا قال لهم عيسى عليه السلام فى موعظة لهم على الجبل " اذا انتم لم تحبوا الا من يحبكم فاى فضل تستحقون ؟ .. واذا انتم لم تحبوا الا اخوانكم فاى جميل تصنعون ؟ .. " ولم يطل به المقام بينهم لكي ينظم لهم هذه العلاقات الانسانية ولكنه مهد بهذا النداء الجميل تمهيدا كافيا لرسالة جامعة ينص كتابها على انها ليست موجهة لامة معينة من الامم ولا لرقعة محدودة من الارض ، ولكنها " ذكر للعالمين " (٣٨ : ٨٧) " نذيرا للبشر " (٧٤ : ٣٦) ويمتد نطاق تشريعها فتضيف الى القوانين الداخلية المنظمة للامة قانونا ينظم شؤونها مع سائر الامم فى السلم والحرب ، والهدنة والصلح ، والمحالفات والمعاهدات .. تلك هى الشريعة الاسلامية التى بلغت بها الرسالات السماوية اقصى مداها ، اذ اصبحت رسالة انسانية عالمية بعد ان كانت رسالات اقليمية متفرقة .

هكذا كانت الشرائع السماوية خطوات متصاعدة ، ولبنات متراكبة فى بنيان الدين والاخلاق وسياسة المجتمع ، وكانت مهمة اللبنة الاخيرة منها انها اكملت البنيان وملأت ما بقى فيه من فراغ ، وانها فى الوقت نفسه كانت بمثابة حجر الزاوية الذى يمسك اركان البناء . وصدق الله حين وصف خاتم انبيائه بانه " جاء بالحق وصدق المرسلين " (٣٧ : ٣٧) وحين وصف اليوم الاخير من ايامه بانه كان اتماما

Scanned with CamScanner

للنعمة واكمالا للدين : (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليك نعمتي (٥ : ٣) وصدق رسول الله حين صور الرسالات السماوية في جملتها احسن تصوير : "مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين (البخاري كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين) .

انها اذا سياسة حكيمة رسمتها يد العناية الالهية ، لتربية البشرية تربية تدريجية لا طفرة فيها ولا ثغرة ، ولا توقف فيها ولا رجعة ، ولا تناقض ولا تعارض ، بل تضافر وتعانق ، وثبات واستقرار ، ثم نمو واكتمال وازدهار .

وننتقل الآن الى المرحلة الثانية :

(المرحلة الثانية) في بحث العلاقة بين الشريعة المحمدية والشرائع السماوية بعد ان طال الامد على هذه الشرائع ، فنالها شيء من التطور والتحور .

رأينا في المرحلة السابقة كيف كان القرآن يعلن عن نفسه دائما انه جاء "مصدقا "لما بين يديه من الكتب ... ونزيد الآن ان القرآن اضاف الى هذه الصفة صفة أخرى ، اذ أعلن انه جاء ايضا "مهيمنا "على تلك الكتب (٥ : ٤٨) أى حارسا امينا عليها ... ومن قضية الحراسة الامينة على تلك الكتب ألا يكتفي الحارس بتأييد ماخلده التاريخ فيها من حق وخير ، بل عليه فوق ذلك ان يحميها من الدخيل الذى عساه ان يضاف اليها بغير حق ، وان يبرز ماتمس اليه الحاجة من الحقائق التي عساها ان تكون قد اخفيت منها .

وهكذا كان من مهمة القرآن ان ينفي عنها الزوائد ، وان يتحدى من يدعى وجودها في تلك الكتب "قل فأتوا بالتوارة فاتلوها ان كنتم صادقين " (٣ : ٩٣) كما كان من مهمته ان يبين ماينبغي تبيينه مما كتموه منها " ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب "(٥ : ١٥) .

* * *

وجملة القول ان علاقة الاسلام بالديانات السماوية في صورتها الاولى هي علاقة تصديق وتأييد كلي ، وان علاقته بها في صورتها المنظورة علاقة تصديق لما بقي من اجزائها الاصلية وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والاضافات الغريبة عنها .

هذا الطابع الذى تتسم به العقيدة الاسلامية ، وهو طابع الانصاف والتبصر ، الذى يتقاضى كل مسلم الا يقبل جزافا ولا ينكر جزافا ، وان يصدر دائما عن بصيرة وبينه في قبوله ورده ليس خاصا بموقفها من الديانات السماوية ، بل هو شأنها امام كل رأى وعقيدة ، وكل شريعة وملة ، حتى الديانات الوثنية نرى القرآن يحللها ويفصلها فيستبقي مافيها من عناصر الخير والحق والسنة الصالحة وينحى مافيها من عناصر الباطل والشر والبدعة .

(اما بعد) فهذا هو موقف الاسلام من الديانات الأخرى من الوجهة النظرية ، فقد كان حديثنا حتى الآن حديثا عن علاقة الاسلام بغيره من الديانات من حيث قبوله لها او مخالفته لها ، كلا او بعضا ... وكان هذا كله حديثا عن موقفه منها من الوجهة النظرية .

وقد بقي ان نبحث عن موقفه من الوجهة العملية :

... هل يقف منها موقف السكوت عليها ، والاغضاء عنها ، اكتفاء بالأمر الواقع ؟

... ام هل يقف موقف المحارب المقاتل الذى لايهدأ له بال حتى يطهر الارض منها ومن اهلها ؟

قليل من الكتاب الغربيين يجيبنا بالشق الاول ، حتى قال قائل منهم (جوتييه في كتاب اخلاق المسلمين وعوائدهم) ان المسلم اناني ، وان الاسلام يشجعه على هذه الانانية ، فالمسلم لايعينه ضل غيره ام اهتدى ، سعد ام شقى ، ذهب الى الجنة ام الى السعير .

Scanned with CamScanner

وأكثر الكاتبين يجيبون بالشق الثانى ، فالاسلام فى نظر هؤلاء يريد أن يفرض نفسه على الناس بحد السيف ، والقرآن فى نظرهم يأمر المسلم بأن يضرب عنق الكافر حيثما لقيه .

الواقع أن كلا الفريقين لم يصب كبد الحقيقة فى تصوره لموقف الاسلام .

ليس الاسلام فاترا ولا منطويا على نفسه كما زعم الاقلون ، فالدعوة الى الحق والخير ركن أصيل من أركان الاسلام ، والنشاط فى هذه الدعوة فريضة مستمرة فى كل زمان ومكان : يأمر الله نبيه بتبليغ كلامه ، وبان يبذل جهده فى هذا التبليغ : (وجاهدهم به جهادا كبيرا) (٢٥ : ٥٢) والقرآن يحرض المؤمنين على هذه الدعوة : " ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله " (٤١ : ٣٣) بل يجعل الفلاح والنجاة وقفا على هؤلاء الدعاة : " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وألئك هم المفلحون " (٣ : ١٠٤) ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر " (١٠٣ : ٢ ـ ٣) ولكن الاسلام فى الوقت نفسه ليس كما يزعم الاكثرون ، عنيفا ولا متعطشا للدماء وليس من أهدافه أن يفرض نفسه على الناس فرضا حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة فنبى الاسلام هو أول من يعرف أن كل محاولة لفرض ديانة عالمية وحيدة هى محاولة فاشلة بل هى مقاومة لسنة الوجود ، ومعاندة لارادة رب الوجود : " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة . ولا يزالون مختلفين " (١١ : ١١٨) " وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين " (١٢ : ١٠٣) " ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا . أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " (١٠ : ٩٩) " انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء " (٢٨ : ٥٦) . ومن هنا نشأت القاعدة الاسلامية المحكمة المبرمة فى القرآن : قاعدة حرية العقيدة " لا اكراه فى الدين " (٢ : ٢٥٦) ومن هنا رسم القرآن اسلوب الدعوة ومنهاجها فجعلها دعوة بالحجه والنصيحة فى رفق ولين " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه " (١٦ : ١٢٥)

على أن الاسلام لا يكتفى منا ـ بعد قيامنا بواجب النصح والارشاد ـ لا يكتفى منا بهذا الموقف العملى السلبى . وهو عدم اكراه الناس على الدخول فيه ، بل يتقدم بنا الى الامام فيرسم لنا خطوة ايجابية نكرم بها الانسانية فى شخص غير المسلمين .

هل ترى أسمى وأنبل من تلك الوصية الذهبية التى يوصينا بها القرآن فى معاملة الوثنية ، التى هى ابعد الديانات عن الاسلام ، فضلا عن الديانات التى تربطنا بها أواصر الوحى السماوى . اقرأ فى سورة التوبة " وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه " فأنت تراه منا بأن نجير هؤلاء المشركين ونؤويهم ونكفل لهم الامن فى جوارنا فحسب ، ولا يكتفى منا بأن نرشدهم الى الحق ونهديهم طريق الخير وكفى ، بل يأمرنا بأن نكفل لهم كذلك الحماية والرعاية فى انتقالهم حتى يصلوا الى المكان الذى يأمنون فيه كل غائلة .

Scanned with CamScanner

ثم هل ترى أعدل وأرحم وأحرص على وحدة الامة وتماسكها من تلك القاعدة الاسلامية التى لاتكتفى بأن تكفل لغير المسلمين فى بلاد الاسلام حرية عقائدهم وعوائدهم، وحماية أشخاصهم وأموالهم وأعراضهم بل تمنحهم من الحرية والحماية، ومن العدل والرحمة قدر ماتمنحه للمسلمين فى الحقوق العامة : " لهم مالنا وعليهم ماعلينا " .

ثم هل ترى أوسع أفقا ، وأرحب صدرا ، وأسبق الى الكرم ، وأقرب الى تحقيق السلام الدولى والتعايش السلمى بين الامم ، من تلك الدعوة القرآنية ، التى لاتكتفى فى تحديد العلاقة بين الأمم الاسلامية ، وبين الامم التى لاتدين بدينها ، ولاتتحاكم الى قوانينها لاتكتفى فى تحديد هذه العلاقة - بأن تجعلها مبادلة سلم بسلم : " وان جنحوا للسلم فاجنح لها " (٨:٦١) " فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله عليكم سبيلا " (٤:٩٠) بل تندب المسلمين الى أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف رحمة وبر وعدل وقسط : " لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . " (٦٠:٨) .

ليس هذا هو كل شئ فى تحديد الموقف الانسانى النبيل الذى يقفه الاسلام عمليا من غير أتباعه ولضيق المقام نكتفى بكلمة واحدة :

ان الاسلام لايتأنى لحظة واحدة عن مد يده لمصافحة أتباع كل ملة ونحلة فى سبيل التعاون على اقامة العدل ، ونشر الامن ، وصيانة الدماء أن تسفك ، وحماية الحرمات أن تنتهك ، ولو على شروط يبدو فيها بعض الاجحاف : ناهيك بالمثل الرائع الذى ضربه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى حين قال فى الحديبية : " والله لاتدعونى قريش الى خطة توصل بها الارحام وتعظم فيها الحرمات الا أعطيتهم اياها "

فهذا هو مبدأ التعاون العالمى على الاسلام ، يقرره نبى الاسلام ورسول السلام .

فى ٢٢ من ربيع الثانى ١٣٧٧ هـ

(١٤/١١/١٩٥٧ م)

Scanned with CamScanner